

﴿ الباب الاول ﴾

(أدب الاعتقادات)

مبنى الاسلام على التوحيد - توحيد العرب قبل الاسلام - دلائل
الكون المنصوبة للعقل الدالة على الصانع - الايمان بالرسول والملائكة -
الايمان بما بعد الموت - تفصيل سجمل - نظام العالم دليل الصانع -
نظرية حدوث العالم - هو الاول والآخر - تعالى ان يكون جوهرأ
متحيزا - نفي الجسمية والهرضية - نفي الاختصاص بجهة - معنى
الاستواء على العرش - الرؤية - المعية - الصفات - القدرة - العلم -
الحياة - الارادة - السمع والبصر - الكلام - قدم الصفات - افعال
الله تعالى - الجزء الكسبي الاختياري في الانسان - نظرية تكليف
ما لا يطاق - نظرية ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق - معرفة
الله واجبة بايجاب الله - بعثة الرسل - بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم - الحشر والنشر - سؤال الملكين - عذاب القبر - الميزان
والصراط حق - الجنة والنار حق .

مبنى عقيدتنا معشر أهل الاسلام على التوحيد الخالص
لله تعالى والقيام بتأدية العبادة له عز وجل لأنه المستحق بالحق
للعبادة . ومدار القرآن المجيد كله في العقائد إنما يدور على هذا
القطب وتقرير الحاجة عنه بالتي هي أحسن قال تعالى « إنما
إلهكم الله الذي لا إله إلا هو » « إنما الله اله واحد سبحانه »

« قل هو الله احد الله الصمد » « الله لا اله الا هو الحي القيوم
وقال تعالى في عبادته وحده » وما أسروا إلا ليعبدوا لها
واحداً » « وما أسروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء » وقال سبحانه وتعالى في النهي عن الشرك والمحاجة عن
الوحدانية « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » « ولا تدع مع
الله الهاً آخر » « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء » « لو أن فيهما آلهة الا الله لفسدتا » « قل لو
كان معه آلهة كما يقولون اذنت لابتغوا الى ذى العرش
سبيلاً » الى غير ذلك من الآيات الباهرات في الدلالة على
وحدانية الله تعالى ووجوب افراده بالعبادة مصداقاً لقوله
تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » مما كان
متجرى الاديان السماوية قبل ديننا والرسول الكرام في
دعوتهم قبل رسولنا صلى الله عليه وعليهم وسلم كما قال تعالى
مبيناً لذلك شرع « لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه » « وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه
أنه لا اله الا أنا فاعبدون »

ولقد كان التوحيد شائعاً في شبه جزيرة العرب قبل
الاسلام منذ عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غير أنه على
تمامى الدهور دخلت عليهم الاحداث وعبادة الاصنام
فكانوا كما وصفهم الله تعالى في القرآن المجيد « وما يؤمن
أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فجاء الاسلام ماحياً لما كانوا
عليه مجدداً للتوحيد على أكل الوجوه وأشرف المبادئ .
ناسخاً ما تقدمه من الاحداث والتغييرات التي شابت الدين
الخالص بعد الرسل واضماً مع ذلك عن الأمم والشعوب
كثيراً من الآصار وأغلال التكليف التي وضعتها في أعناقهم
التقاليد التي جروا عليها ولا غرو فالاسلام هو بالحق دين
الطرة التي فطر الله الناس عليها وفي القرآن المجيد « ان الدين
عند الله الاسلام » « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه »

ودلائل الوحدانية وأبواب الصانع تعالى المنصوبة للعقل
في عالم الحس والمشاهدة من الطبيعة بخلافها قد نص عليها
هذا القرآن المجيد الذي يهدى للتي هي أقوم قال تعالى « الله
الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به

من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره
 وسخر لكم النهار وسخر لكم الشمس والقمر داثين وسخر لكم
 الليل والنهار وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها»

وقال في خلق الانسان وتدرجه في نشأته « هو الذي
 خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم
 لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل
 ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ، هو الذي يحيي ويميت
 فإذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون »

وقال في الارض والجبال والليل والنهار وما أشبه ذلك
 « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً
 وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا
 فوقكم سبعاً شدادا وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات
 ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً »

وقال في آية أخرى ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
 الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخرين بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون «
والآيات في القرآن المجيد على هذا النمط من التنبيه على
عظمة الخالق تعالى والتنويه بتفريده بالخلق والانشاء والابداع
واسباغ النعم على الخلق أكثر من أن تحصى والله ما أجل
وأخف تلكم الدلائل الكونية العظيمة منها والدقيقة المنصوبة
للعقل البشرى والتي يصادفها الانسان أني تأمل وحيثما أجال
نظره شاهدة ناطقة بتفرد الله تعالى بصفات الجلال والكمال
والقدرة العظيمة حتى لقد صرخ ذلك العربي القمع إذ سئل
ما الدليل على وجود الصانع تعالى فقل « ان البهرة لتدل على
البحير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدل على صانعها
القدير ا »

وقال تعالى أيضاً مما يشبه ما سلف ويجب على كل مسلم
تدبره وتفعله كله واستخدام وسائل المعلوم الكونية لاستكناه
أسراره العجيبة لانه هو وأمثاله الكثيرة المودعة بطن كتابنا
المزير مطلوب لنا دينياً فضلاً عن نفعه وثمرته دنيوياً « الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر
 يفصل الآيات لعلكم تلتقون ، وهو الذي مد
 الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين يفتشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون ، وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب
 وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
 بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»
 وجاء في آية أخرى « ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم
 اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
 أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
 لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض
 واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن
 آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله ان في ذلك
 لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريم البرق خوفا وطمعا
 وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان في ذلك
 لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره
 ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون »

فترى من هذه الآيات الجليلة وأمثالها الكثيرة في القرآن المجيد ما يبرهن اجل برهنة على وجود الخالق العظيم ووحدايته تعالى وجميل صنعه وتصرفه في خلقه بالتدبير المحكم وان للعقل الذي وهبنا إياه وتعبدنا به حقه لان يستخدم وليستعمل ثم^(١) وعندى أن هذا الضرب من العلم أجل وأشرف العلوم التي يجب أن يعتمد عليها في المدارس الإسلامية الدينية بمقدار ما يدل من صواب تلك العلوم الفقهية واللغوية التي ينبغي أن يجرى فيها بما يناسب الزمان وأذواقه تصنيفاً وتعليماً بهذا يأخذ العقل والنكر الإسلامي قسطه من الانطلاق المطلوب له في الآيات القرآنية الأئنة الذكر وأن لا يحجر عليه ذلك الحجر الذي أوجدته التقاليد

(١) قال الشافعي رحمه الله في رسالة الفقه الاكبر « اول الواجبات

على المكلف النظر والاستدلال الى معرفة الله تعالى ومعنى النظر هو فكر القلب والتأمل في حال المنظور فيه طلباً لمعرفته وبه يتوصل الى معرفة ما غاب عن الحس بالضرورة وهو واجب في أحوال الدين لقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر وقوله فاعتبروا يا أولى الابصار وقل انظروا ماذا في السموات والارض ثم استطرده فيما يرمى اليه من النظر في العالم ذلك الاسم الجامع لما سوى الله تعالى من خلقه اه مؤلف

السائلة بين متن وشرح وحاشية وتقرير وما أرواها من أساليب معيبة لا توافق مناهج العصر ولا ما تقتضيه أحواله الارتقائية الأذا رضينا بالعودة والاخلاد الى أرض الانحطاط والتقهقر الذي يبرأ منه ديننا ويجب نفض غباره عن أنفسنا وسيأتي في آخر هذا الكتاب كيف يتطلب أدب النفس مع الباري تعالى اطلاق الفكر والتفكر والتدبر في مصنوعات الله تعالى للتقوى في الدين والدنيا مما لا يتوصل اليه الا باستخدام العلوم الطبيعية والاجتماعية الأدبية

وبعد الايمان بالله سبحانه وتعالى والاقرار له بالوحدانية والتصرف والقضاء بالتدبير الجميل في الخلق وعدم الاشرار به تعالى ينبغي الايمان بالرسول رسول الله والملائكة الكرام والكتب السماوية كما نص عليه تعالى في محكم هذه الآيات « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

ولما كانت الدنيا ليست بالدار ذات الخلد والقواربل هي كما جاء في الحديث الشريف مزرعة الآخرة تلك الدار الباقية

حيث الحياة الأبدية حيث السعادة السرمدية والنعيم المقيم ،
حيث الحياة بأشرف كالاتها ومعانيها . كما يقول به ويمتدده
الكثير من نبي البشر خصوصاً أصحاب الأديان السماوية
والاسلام في مقدمتها كما نطقت به آيات القرآن الكثيرة فلهذا
وجب الايمان فيه والاعتقاد بما بعد الموت من الجنة والنار والحشر
والنشر ، فالجنة للمؤمنين بالله ورسوله الماملين بما أمروا به
وكلفوه في هذه الدار من الاعمال الصالحة والتكاليف الواجبة ،
والنار مشوى للكافرين العاصين المخالفين لأوامره ، وان هناك
حساباً وميزاناً يحاسب العبد بهما (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والآيات في القرآن الكريم
والاحاديث في هذا كثيرة ولتفصيل هذا الاجمال أقول

كل امرئ عاقل أنار الله بصيرته وجلا صمداً ففكره

وثقف بالعلم الصحيح لبه لا يفوته عند التأمل الدقيق والتدبر
الحسن في نظام هذا العالم ومعجائب الصنع في الكون المكشوف
للقلوب والبصائر كما هو مكشوف للأعين والابصار فيما حوى
من سموات وأرضين وحيوان ونبات ومعدن وشعوب مختلفة
وقبائل انسانية متباينة هل ظهر كرتنا هذه الارضية الحظيرة

التي هي بالنسبة الى الكون أو ملكوت الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كناية ملاقاة في فلاة » ان هذا « الخلق » العجيب والصنع الجميل لا بد له من خالق عظيم وصانع حكيم صنعه وهو يدبره أحسن التدبير ، وهذا الصانع الكريم في اعتقاد أهل الإسلام هو « الله » سبحانه وتعالى فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة وقد دل على نفسه بنفسه وأنبأ عن ذاته وصفاته بالنظر الينا معاشر المسلمين في القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام والذي أرسله رحمة للعالمين فضلاً عما سلف في نبوة الأنبياء والكتب الماضية وعمما غرسه تعالى في الفطر الانسانية السليمة ^(١) لتري الدلائل المنصوبة في العالم نفسه وان هذا العالم « حادث » يرجع الى « محدث » لعدم الاستفناء عنه وبرهان حدوث العالم أن أجزاء هذا العالم إما متحركة أو غير متحركة والحركة والسكون قد يعلم بالبداهة حدوثهما كما يعلم كذلك أن ما لا يخلو من الحوادث

(١) كان للامم الحكيمة القديمة كالليونان ونحوهم هدايتها في معرفة

الصانع تعالى بطريق الرياضة العقلية . راجع رسالة الفوز الأصغر لابن مسكويه ونحوها .

فهو مثلها في الحدوث فالعالم اذن حادث ومحدثه بالاتفاق عند
 أهل الأديان السموية ومن هنا نحوم هو الله تعالى كما قال
 تعالى مشيراً الى ذلك من اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق
 السموات والارض ليقولن الله)

وإذا كان هذا العالم العظيم الصنع حادثاً فلا ريب أن الله
 محدثه تعالى قديم أزلي لا بداية له . وبرهانه انه لو كان حادثاً
 لاحتاج الى محدث واحتاج محدثه الى محدث وهلم جراً وما
 تسلسل من الحوادث فلا بد من الانتهاء به الى محدث قديم
 هو الاول ، في الحديث الشريف (كنت كنزاً مخفياً فأحببت
 أن أعرف مخلقت الخلق في عرفوني) فالله تعالى قديم لا بداية
 له وما حوادث الكون في تسلسلها وارتباطاتها مهما عظم قدمها
 ومهما قيل في كيفية خلقها الا وتنتهي الى مبدعها الاول الله الذي
 أنشأ النشأة الاولى واليه ترجع النشأة الآخرة لان ما وصف
 بالقديم المطلق استحال عليه المدم البتة فالله سبحانه كما لا أول
 له فهو كذلك لا آخر له بل هو تعالى كما وصف نفسه في
 الكتاب العزيز (الاول والآخر والظاهر والباطن) تفنى
 الحوادث والموام وهو باق أزلياً سرمدياً تقدس في علاه

وهو تعالى ليس بجوهر متميز لان الجواهر المتخيزة كما
قال جماعة المتكلمين مختصة باحيازها ولا تخلو من أن تكون
ساكنة فيها او متحركة عنها وما لا يخلو من الحوادث فهو
حادث ، ولو تصور متميز قديم لتصور في المستقبل قدم جواهر
العالم على ان من سماه تعالى جوهرًا ولم يرد به الجوهر المتميز
لا يكون مخطئاً الا من حيث اللفظ دون المعنى

وإذا كان الله سبحانه وتعالى ليس بجوهر متميز فمنه يعلم
بالضرورة انه ليس « بجسم » لان الجسم مؤلف من جواهر
متركة وما كان مركباً احتاج الى حيز والى اجزاء قابلة للافتراق
والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه كلها من
صفات الحدوث في المخلوقين فصانع العالم اذن ليس بجسم

وإذا كان تعالى ليس بجسم فيكون بالاولى ليس بهرض
حال في جسم كذلك لانه اذا كانت الاجسام محدثة لما تقدم
من تركيبها وافتقارها الى الاحياز فالاعراض القائمة بها يعلم
بالضرورة حدوثها بل هي أخرى بان توصف بصفة الحدوث
من الاجسام القائمة هي بها والله تعالى خالق الاجسام
والاعراض ومبدع دقائقها ورقائنها من المركبات والبسائط

واليه تعالى مرجع القوة فيها جميعاً ما ظهر منها وما بطن
ثم انه تعالى منزه الذات عن الاختصاص بجهة من
الجهات لان الجهة إما فوق واما تحت واما عن اليمين واما عن
اليسار واما أمام واما خلف والجهات محدثة مخلوقة بواسطة
خلق الانسان بكيفية ان له طرفين يمتد باحدهما على الارض
التي تقه وهما رجلاه والطرف الآخر يقابله وهو الرأس فاحدث
الانسان اسم الفوق لما يلي ناحية رأسه وخصص اسم التحت
لما يلي قدميه الى آخر ما اصطلح عليه في ذلك وبهذا الاصطلاح
يكون مثلاً اهل نصف الكرة الارضية التي تقابلنا مسمين أبدأً
فوقاً ما نسميه نحن تحتاً وكذلك يخالفوننا في تمييز الجهات
الاربع بحسب الأوضاع . فمن ثم نعلم حدوث الجهة وتمييزها
اصطلاحاً وما كان كذلك فالله تعالى منزه أن يتخصص بناحية
منه ولو كان الانسان خلق مستديراً كرى الشكل لما كان
لهذه التسميات وجود البتة بالنظر اليه كالكرة الارضية
وكالكواكب السابحة في فضاء الله العظيم من السموات . فالجهة
محدثة بهذا الاصطلاح والله تعالى ارفع من أن يختص بجهة
حادثة اصطلح عليها محدث بالتمييز والتخصيص والله تعالى يقول

« فأين ما تكونوا فثمَّ وجه الله » بالمعنى المقصود له تعالى من القرب والتقريب الى العباد على ان ما جاء في أدب الاسلام من رفع الايدي في الدعاء الى السماء فهو أبداً للتعظيم والرفعة ولان الله تعالى فوق عباده بالسلطان والمنظمة ولان السماء المكشوفة لسكان الارض الضعفاء مشهد من شاهد ملائكة الله تعالى مصدر الرحمت والفيوضات العظيمة . أما تولية الوجوه في الصلاة شطر الكعبة بيت الله الحرام ، بيت الخليل ابراهيم عليه السلام فللتقريب والتسهيل في التعيين أيضاً ولان الكعبة « أول بيت وضع للناس مباركاً » فاختارها النبي صلى الله عليه وسلم قبلةً له وارضى الله بها عباده المسلمين

أما مسألة الاستواء على « العرش » التي نص عليها الكتاب المجيد ، الرحمن على العرش استوى ، فليس المراد بها كما قال أجلة علماء السلف وبالمعنى الذي اراده الله تعالى انه استواء استقرار وتمكن يلزم منه الجسمية لذات الله تقدس وتنزه في علاه لانه محال وانما هو استواء قهر واستيلاء كالمفهوم من قوله تعالى في آية الكرسي « وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم »

ورؤية الله تعالى في الدنيا غير مقول بها لقوله تلك
« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » وقوله تعالى في
خطاب موسى عليه الصلاة والسلام « ان تراني » وان كانت
الرؤية جائزة عقلاً بغير تعيين جهة او صورة لانه اذا كان تعالى
ليس مختصاً بجهة فبالضرورة جازت الرؤية عقلاً كذلك من
غير كيفية ولا صورة او جهة . أما مسألة المعية بحق الخلق
« وهو معكم أينما كنتم » فمعتقد اسلامياً مع نفي الأينية الجسمية
او الحلول بحقه تعالى لان قربه تعالى ليس كقرب الاجسام قال
الشميخ محمد المغربي الصوفي الشافلي هذه الحكمة العالية في
المعية قال « معيته تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء
كلها ثابتة في علمه أزلاً يقيناً بلا بداية لانها متعلقة به تعلقاً
يستحيل عليه المدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير
معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه
تعالى بعد ان لم يكن . وكما ان معيته أزلية كذلك هي أبدية ليس
لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من المدم عيناً على وفق
ما في العلم يقيناً وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها
وتركيبتها واطرافها وتجريدها من الأزل الى ما لا نهاية له »

هذه هي أمهات الباب في أدب الاعتقاد بالنسبة الى ذات الله تعالى القدسية من الوجود والوحدانية والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث مجمة أما ادب الاعتقاد الاسلامي بالنظر الى الصفات صفات الله تعالى القدسية فأولها الاعتقاد « بالقدرة الصانع العظيم والمدبر الحكيم، وهذه الصفة من القادر والقدير والخالق والمبدع والمنشئ والمعيد الخ كلها طامخ بها القرآن المجيد وبرهان القدرة قدرة الله تعالى العظيمة من العقل ان العالم محكم الصنع متقن النظام لان من رأى حقيقة منسقة الفراس مرتبة الشجر منظمة المسالك وتوهم صدورهما من غير ناطور (بستاني) ماهر حاذق في فنه وبعبارة أخرى من غير قادر على ترتيب ذلك بمهارة وعقل كان منجلاً عن غريزة العقل نفسه منخرطاً في سلك اهل الجهل والغباوة

ثم الاعتقاد « بالعلم » علم الله واحاطته تعالى بجميع المخلوقات علماً فلا يعزب عن علمه تعالى مثقال ذرة في الارض ولا في السماء والقرآن كله ناطق بان الله عز وجل محيط بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه شيء ذق أو جل خفي أو ظهر لا في الارض ولا في السموات العلى فالله بكل شيء عليم ولقد جاء من بين

الآيات القرآنية الكثيرة في علم الله هذه الآية على طريقة الاستفهام التعجبي استهزاء بقول بعض الجاحدين « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وفي الآية الإرشاد إلى الاستدلال بالخلق على علم الله تعالى إذ لا ريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المتقن المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على عظيم علم الصانع بكيفية الترتيب والاتقان والاحاطة بكل شيء .

وفي كل من صفة قدره والعلم ما يدل بالضرورة على صفة « الحياة » له تعالى لأنه لا يتصور صدور القدرة والعلم والخلق والإبداع عن غير حي كما لا يتصور مثلاً من إنسان أنه قادر وعالم وفاعل بلا حياة وهو ما لا يقول به عاقل أو يتصور في عقل إنسان

« الإرادة » من صفات الله تعالى فهو « المبدئ المعيد الفعال لما يريد » فلا موجود إلا وهو موجود بمشيئته وإرادته وحكمته وكيف لا يكون مريداً مختاراً وكل فعل يصدر منه تعالى أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضده له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة صالحة للضدين والوقت

فلا بد من الإرادة الصارفة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم
 عن الإرادة في تخصيص المعام حتى يقال انما وجد في الوقت
 الذي سبق العلم بوجوده لجازان يفني عن القدرة لانه يقال
 وجد بغير قدرة لسبق العلم به وليست ارادة الله في السنن
 الكونية التي هي كالتى للخلق من حيث انفاذ امر والعدول
 عنه إذ ذلك محال بحق الله تعالى واجب الوجود لاني هذا من
 توابع حاجات البشر وتقصيرهم في العلم عن الكمال فتستفیر الارادات
 بحسب ذلك من البواعث .

« السمع والبصر » من صفات الله تعالى التي وصف بهما
 سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز في آيات كثيرة « اني
 مما كما اسمع وأرى » « وكان الله سميعاً بصيراً » « ليس كمثل
 شيء وهو السميع البصير » فالله تعالى سميع بصير لا يعزب عن
 رؤيته هو اجس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشهد عن
 سمعه ديب أصغر الميكروبات التي لا تراها أعين الآدميين
 فضلاً عن سماع حركاتها في غدواتها وروحاتها ، واذا كان من
 كمال الخلق السمع والبصر فكيف لا تكون صفة هذا الكمال
 للخلق العظيم تعالى على ما يناسب كماله بلا جارحة ولا أعضاء .

ومن الصفات الواجب اعتقادها بحق الرب تعالى «الكلام»
وهي صفة قائمة بذاته العملية لا تكون بصوت ولا بحرف وبرهان
كلام الله تعالى ظاهر من الوحي الى الانبياء وخطابهم بالارؤية
مصداقاً للآية الشريفة « ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء »
وبرهان الكلام على تلك الصورة « وكلم الله موسى تكليماً »
« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » « فأوحى الى عبده ما أوحى »
ولا يشبهه كلام الله تعالى بهذا المعنى كلام المخلوقين كما لا يشبه
وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وما قطعت
الاصوات والحروف بحق المخلوقين الا لضبط الكلام بحسب
الاصطلاحات وسهولة الدلالات كما قد يدل عليه بالاشارة
والحركات .

وكل من الكلام القائم بالذات وجميع الصفات التي سبقت
لله تعالى قديمة كذاته تعالى لانه يستحيل ان يكون محلاً للحوادث
لما تقدم من ان محل الحوادث حادث بل هو تعالى لم يزل في
قدمه تعالى موصوفاً بمحاسن الصفات ولن يزال في أبده منهوتاً
بنهوت القدم والجلال منزهاً عن تغير الحالات وكذا علمه تعالى

قديم فانه لم ينزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه في مخلوقاته بالعالم
الازلي والقدرة الازلية والارادة أي المشيئة الازلية المتعلقة
بأحداث الحوادث وفق سبق علمه الازلي بها .

وإذا قد انتهيت من بحث الصفات فلا أنتقل الى أدب
ما يجب اعتقاده في الاسلام بخصوص أفعال الله تعالى فاعلم
يا أيها الذي لله أن كل ما يحدث في العالم عالم الكائنات فهو فعله
تعالى وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا يحدث في الحقيقة
الا اياه وكذا القدرة التي للعباد مخلوقة له تعالى وكذا حركاتهم
وسكناتهم المتعلقة بقدرته كما قيل « الحركة والسكون بيد الله »
وفي الآيات القرآنية برهان هذا ومصداق أمره قال تعالى
« الله خالق كل شيء » وقال جل شأنه « والله خلقكم وما
تعملون » ومن هنا تعلم ان افراد الله تعالى بمخلق حركات العباد
لا يخرج ما لهم من « عمل » أو ما يجب اعتقاده منه فيهم لدلالة
الآيات القرآنية الكثيرة عليه وان فينا ذلك « الجزء الكسبي
الاختياري » الواقع في افعالنا وارادتنا الذي وقعت عليه
التكاليف والذي خوطب البشر وادينوا به وجوزوا عليه الجزاء

الحق بمقتضى الشرائع من تعبدية وتمايلية كما وعدوا عليه الجزاء
الآخروي ، وهذا الجزء الاختياري في أفعالنا عظيم مبناه على
العقل البشرى المستمد نوره من نور الله ومصداقه من القرآن
كثير فهو من جهة خالق للرب ومن جهة أخرى كسب أى
فعل للعبد وتقره الله بعلم ما هو كائن له منه فقدره العبد خالق
للرب كسب للعبد وكذا الحركة والاختيار الواقعان منه وأنت
إذا تأملت هذا جيداً ترى أن الإسلام أو بمباراة أخرى المبدأ
السنى منه قد كل أوجه بهذا الاعتقاد وأعتدل قوله وخلص
مبدؤه بالنظر الى أفعال البشر فلم يدخل في « الجبر » المحض كما
قال به « الجبرية » القدماء ومن أهل الإسلام أيضاً كما لم يقل
عبادى « المعتزلة » القدرية أو تلك الفلاسفة الإسلاميين
الذاهبين الى أن البشر إنما هم الذين يحدثون أفعالهم وإراداتهم
وليس لله فيها من أثر البتة فمن ثم وقف المبدأ السنى بين بين
حتى يخرج من شناعة أهل الجبر فيما ذهبوا اليه وجرأة الفلاسفة
الاعتزاليين فيما تجرأوا به على الله تعالى ويوفق بين الآيات الدالة
على تصرف الله في عباده بما شاء وشاء مبدأ الخلق له تعالى
وفق العلم الأزلى وأمر التكليف في الاعتقادات والعبادات

والشرائع وتزكية النفوس والجزاء بالثواب والمعقاب الاخرين
 خصوصاً في مقابل الطاعات وفي مقابل الذنوب .^(١)

فعمل العبد على مقتضى هذا المبدأ السني المتعدل وان
 كان كسباً للعبد الا انه في الحقيقة لا يخرج عن كونه بقضاء
 الله تعالى وسابقاً في علمه تعالى للجزم في المقيدة عقيدة أهل
 السنة والجماعة بأن ما يجري في الملك والملكوت إنما هو بقضاء
 الله وقدره وعلمه فمنه تعالى الخبير ومنه تعالى الشر ما شاء كان وما
 لم يشأ لم يكن وهو معنى دقيق طالما زلت فيه أفهام وحارت
 عقول نبي ان الآيات ناطقة به صريحاً فاعصى عاص ولا
 اهتدى مهتدي الا بتوفيق الله تعالى وهديته وسابق علمه فيه
 وان كانت سبل الهداية قد بينت من قبله تعالى للجزاء عليها
 بحق المهتدين كما بينت طرق الفوارة والشرور لتجنبها بحق
 الضالين والله تعالى في خلقه شؤون وتصاريف تعجز عن كنهها
 عقول القاصرين مع ان هناك آيات ناطقة به « ولو شاء ربك
 لهدى الناس جميعاً » « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة »

(١) حكى في الصدد الامام ابن تيمية اقوالاً نفيسة في رسالة شرح
 حديث أبي ذر كما فصلها غيره من الأئمة أيضاً أحسن تفصيل اه مؤلف

بيدانه مهما كان من هذا المبدأ الاعتقادي فليس للانسان وهو المكلف في حده ذاته إلا أن يعمل لما فيه الخير ليوافق مراد الله تعالى لمباداه منه كما نطقت به آيات اخر قال تعالى « قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها » (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « فاستبقوا الخيرات »

وقال تعالى في خطاب المؤمنين للملازمة التقوى « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم » وينفر لكم والله ذو الفضل العظيم » وآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى في آية اخرى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فقد وقع اجره على الله) والآيات في المعنى كثيرة .

ومن كمال الادب في الاعتقادات الاسلامية السنية أن يعتقد أن الله تعالى كما قد تفضل بالخلق وتفرق بالانشاء تطول كذلك بتكليف العباد وتعريفهم طريق هدايته ولم يكن الخلق ولا التكليف واجباً عليه البتة كما ذهب اليه المسترزة

وانما وجد للسابق في علمه الازلي وحكمته العظيمة ومشيشته
الكريمة وانه يجوز لعموم التكليف الذي تفضل به تعالى لصاحبه
العباد انفسهم أن يكلف العباد مالا يطيقون وبعبارة اخرى
ملاحظ لهم من توفيقه وهدايتهم لهم فيه للسابق في علمه تعالى
بحق بعضهم ولنا برهان ذلك في ابلاغ رسوله الكريم صلى الله
عليه وسلم أن أبا جهل لا يصدق ولا يؤمن به ثم أمره إياه
بأن يأمر أن يصدقه ويؤمن بالله العظيم . ونيس هذا في شيء
من معنى الآية الكريمة القرآنية (لا يكلف الله نفساً
الا وسعاً)

ومن تمام هذا الادب في الاعتقاد عند أهل السنة
والجماعة اعتقاد جواز أن لله تعالى إيلاء الخلق وتعليبهم من
غير جرم سابق ولا ثواب لاحق لانه متصرف في ملكه ولا
يعد المتصرف في ملكه ظالماً كما شاغب به المعتزلة في مقولاتهم .
هذا هو مبدأ (الجواز) الواجب التسليم به اعتقادياً غير أن لله
تعالى في مقابله مع ذلك الرحمة غير المتناهية كما قد نطقت به
الآيات وهدت عليه الآثار بل أوشد اليه العقل السليم لان
أفعال الله كلها مبنية على الحكمة التي تقصر دونها عقولنا وعلى

العدل والرحمة فهو تعالى لم يتفضل بالخلق عبثاً ولا كلفهم من التكاليف بحسب المقصود بها هنا فوق طاقتهم ووعدهم بالثواب على الحسنات العملية أضعافاً مضاعفة وتوعد بالعقاب (وجزاء سيئة بمثلها)

وهو تعالى مع ما عرّز في عقولنا وأمرنا به من العمل لمصلحتنا بمعونه ونوفيقه في حياتنا أثاب على ما قد نبقى به من الحن والآفات والأصراض وأرشد العقول وهدى القلوب الى الوسائط العلمية والعملية لدورها وازالتها مع التزام (الصبر) والتدبر بالإنابة والاطاعة لأمره وحكمته وقضائه وقدره في الأحوال السيئة حسياً ومعنوياً بلا تسخط ولا تضجر حتى لا يجهت أجرنا وننال الثواب العظيم ثواب « الصبر » وجزاء الذي بشر به في قوله تعالى « وبشر الصابرين » ولهذا البحث بقية مستود في آخر هذه الرسالة

والقرآن المجيد والسنة البيضاء كلها ملأني بهذا وأمثاله الكثرة فالله تعالى لا يضيع عمل عامل ولا جزاء صابر ولا يخل بمعونة المستعين به على الخير اللاجئ الى بابه المستروح بامداده ولتمام الرحمة الصمدانية جعل أن لا يعذب إلا بعد البلاغ وتمام

الرسالة « وما كنا مبعدين حتى نبعث رسولا » كما قد قيده
الاهلاك وازالة الامم بالتزام الفساد والاسراف في الامور أو
عدم الصلاح للخلافة الارضية (وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصالحون) و (ما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون)
ومعرفة الله تعالى واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه وبالعقل
فما يقتضي الاستدلال المنصوص عنه شرعاً لا بالعقل فقط كما
هو منذهب المعتزلة لان العقل وحده لا يؤدي الى التصديق
بالله وبشرائعه بمفرده وأنت بأدنى تأمل في احوال الامم
واختلافها في التقاليد والمعتقدات تر أن العقل لا يؤدي في
الغالب الا الى السبل المتفرقة وان عرف الصانع فمن ثم بعث
الله تعالى النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين للحكمة البالغة
وسبق العلم الاذلي بان لا صلاح للعالم الا بهذا فلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل « ومع اختلاف الشرائع وطرق تأدية
العبادة التي جاء بها الرسل ونحوها فان مبدأ الاعتقاد الذي أتى
به الجميع واحد من حيث التوحيد وعدم الاشراف بالله وتزويجه
تعالى وتقديسه وهو أعظم العبادة المطلوبة بل هو الاصل في
النجاة الاخرية وهذه العبادة وما يتبعها من مراعاة الشرائع

والعمل بها بحسب المقتضيات الزمانية لم يكن شيء من ذلك البتة الا في مصلحة البشر انفسهم لان الله تعالى غني عن العالمين لا ينتفع بمعبادة عابده ولا يضره كفر كافر ، فالرسل في البشر كالاطباء لانه كما احتاج الناس الى الاطباء لتطبيب ابدانهم وسلامتها من المطب احتاجوا كذلك وعلى شكل أعظم وأشرف الى اطباء النفوس من الرسل والنبين لان أمراض النفوس شر من أمراض الابدان وهذا لا ينافي هداية المقول البشرية التي جعلها الله لها لانها معرضة للخطاء والضلال وهي تلمس الحق بطولها به فمن ثم احتاجت الى مرشد مسموي يريها الهدى والضلالات ضلالا وبهدى هذا الارشاد وذلك التبيين تصير غير معذورة بل تصير مسؤولة فيما أرشدت اليه في مصالحها الدينية والديوية

واذ كانت بعثة الرسل جائزة ولازمة كما هو مبين باكثر من هذا في كتب التتائد ومحقة بمن بعثهم الله تعالى من الرسل السابقين والانبياء المتقدمين وقد قامت البراهين والحجج على صدقهم وبالاستعداد من انوار شرائعهم استفادت الامم مؤمنة وغير مؤمنة ، واذا كان هذا الامر أصر بعثة الرسل

جارياً في سنن الخليفة ومسلماً به لدى الآدميين في الجملة بالذي
 يجب اعتقاده بحقهم على ما هو مفصل في كتب العقائد ، وإذ
 كان لكل شيء عند الله وقته والسابق في علمه تعالى من حاجة
 البشر واقتنارهم الي تجديد الاصلاح ونصب أعلام التوحيد على
 أمثن أساس في الوقت الذي أراده واختاره سبحانه وتعالى لهذا
 بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف
 المرسلين بشريعة الاسلام محمياً للايمان منادياً بالاسلام في
 الزمن الذي انتقاه والوقت الذي اختاره مؤيداً بالحجج البالغة
 والمعجزات الباهرة ولا سيما معجزة القرآن المجيد الذي بين فيه
 حقيقة الايمان وهداية النفوس باحسن الاقوال واشرف المبادئ
 الادبية والاجتماعية واصول التوحيد بمقتضى قواعد عامة تصالح
 لكل زمان ومكان فلما جاء الرسول بهذا ولما قام من بشارات
 الانبياء السابقين به لهذا نزم الخلق تصديقه والايمان بما جاءنا به
 من عند الله للفوز بالسعادة الحقيقية الابدية على نحو ما بشر الله
 به المؤمنين الذين يستمعون القول من عند الله فيتبعون أحسنه
 ولا أحسن ولا أشرف ولا أوسط في اعتبارنا معشر المسلمين
 مما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فرسالة هذا النبي

الكريم والرسول السند العظيم جاءت نعمة عامة من الله تعالى
كما قال سبحانه وتعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »
« وأرسلناك للناس بشيرا ونذيرا »^(١)

* * *

أما السميات الواجب الاعتقاد بها وتصديقها من حيث
الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وممنهاها الاعادة بعد الموت
فهو في العقل ممكن لانه من مقدور لله تعالى ولان فيهما الجزاء
الحقيقي والحياة الصحيحة بعد مجاوزة عقبتها من الموت قال تعالى
« كما بدأنا أول خلق نعيده » وقال تعالى « قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » وقال عز من قائل
« ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »^(٢)

ومن السميات الواجب التصديق بها سؤال الملكين
في القبر فقد وردت به السنة وهو ممكن في نفسه إذ ليس

(١) يراجع في الفضائل الشفا للقاضي عياض وبالنسبة لتقرير امر
الرسالة الجواب الصحيح لابن تيمية اه مؤلف (٢) يراجع تفسير
الرازي والفصل لابن حزم في مسألة الحشر والنشر والاعادة الخ
اه مؤلف

يستدعي ذلك غير اعادة الروح الى جزء من اجزاء البدن التي يفهم بها الخطاب وعدم سماع الاحياء للسؤال هو كما لا نرى من النائم غير سكونه بظاهره مع انه قد يكون مدركاً بباطنه لآلام والمذات قد يحس بها ويشعر عند تنبهه ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يرونه ولا يسمعون كلامه .

وعذاب القبرحق وقد جاء في الحديث ، القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، ولا يمنع منه تفرق اجزاء البدن مثلاً في بطون السباع وحواصل الطير ونحو ذلك إذ المدرك للذة أو ألم العذاب من الانسان إنما هو جزء يعلمه الله من نفس الانسان

والميزان حق ويجب التصديق به . قال تعالى ، ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، وقال عز من قائل ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الخ ، وكذا الصراط يجب التصديق به لورود الخبر به أما صفته وصفة الميزان فما لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى .

ويجب التصديق بالجنة والنار وانهما مخلوقتان قال تعالى

« سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
 أعدت للمتقين » وقال تعالى « ومشوى الكافرين النار » والآيات
 في الجنة والنار والجزاء بهما على الاعمال إن خيراً فالجنة ونعيمها
 وإن شراً فالنار وسعيرها كثيرة وكذلك الأحاديث للترغيب
 والترهيب « فلك هدى الله يهتدي به من يشاء من عباده
 والماقبة للمتقين »^(١)

(١) يراجع على هذا الفصل تفسير الرازي وأحياء الغزالي
 والاقتصاد في الاعتقاد له اه مؤلف

